المكتبة الخضراء للأطفال

(٣٣)

المرآة السحرية

بقلم : عبد الله الكبير

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الكبير، عبدالله .
المرآة السحرية / بقلم عبدالله الكبير . ط ١١٠
– القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦
٤٨ص ؛ ٢٤ سم . – (المكتبة الخضراء للأطفال)
تدمك : X – ٦٩٢٨ –٠٢ – ٩٧٧
١ – القصص العربية
٢– قصص الأطفال

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٤٩٧٤ ٧/٢٠٠٦/١١

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل . القاهرة ج.م.ع.
هاتف ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

هذِهِ الْقِصَّةُ قَدِيمَةٌ ... قَدِيمَةٌ جِدًّا ... وَأَنْتَ تَسْمَعُهَا فِي كُلِّ مَكَان ... تَسْمَعُهَا فِي مِصْرَ وَلِيبْيا وَفِي تُونِسَ وَالْجَزَائِر، وَفِي الْمَغْرِبِ وَمُورِيتَانْيا ، وَفِي السُّودَانِ وَالصُّومَال ؛ وَتَسْمَعُهَا فِي سُورِيَّةَ وَلُبْنَان، وَفِي الأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِين ، وَفِي الْعِرَاقِ وَالْبَحْرَيْن ، وَفِي الْكُوَيْتِ وَالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّة، وَفِي دُوَلِ اتِّحَادِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ كَمَا تَسْمَعُها أيْضاً فِي الْهِنْدِ وَالصِّين، وَفِي البَاكِسْتَانِ وَالْيَابَان ...

وَلَيْسَ الْعَجِيبُ أَنَّك تَسْمَعُ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي شَرْقِ الدُّنْيَا وَغَرْبِهَا، وَفِي شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا ، لَكِنَّ الْعَجِيبَ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ بَلَدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ

هذِهِ الْقِصَّةَ حَدَثَتْ فِي وَطَنِهِمْ ، وَأَنَّ الْبُلْدَانَ الأُخْرَى نَقَلَتْهَا عَنْهُمْ ...

وَنَحْنُ لاَ يَهُمُّنا كَثِيراً أَنْ نَعْرِفَ فِي أَيِّ بَلَدٍ حَدَثَتْ هذِهِ الْقِصَّة ، وَلا فِي أيِّ سَنَةٍ وَقَعَتْ أَحْدَاثُهَا ؛ وَإِنَّمَا يَهُمُّنَا أَنَّ النَّاسَ يُؤَكِّدُونَ أَنَّهَا حَدَثَتْ فِي بَلَدٍ مَا ، مُنْذُ مِئَاتِ السِّنِينَ .

وَأَبْطَالُ الْقِصَّةِ لَهُمْ آلافُ الْأَسْمَاءِ ، فَكُلُّ مَنْ يَحْكِيهَا يُسَمِّي الْبَطَلَ اسْماً يُنَاسِبُ الْبَلَدَ الَّذِي تُحْكَي فِيه ...

فَلْنُسَمِّ نَحْنُ هُنَا الْبَطَلَ الْأَوَّلَ (عَمّ مَنْصُور) ...

كَانَ (عَمّ مَنْصُور) هذَا صَيَّاداً مَاهِراً ، كَرِيم الْخُلُق ، طَيِّبَ الْعِشْرَة . وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ (سَعْدِيَّةً) طَيِّبَةً مِثْلَه . وَقَدْ رَزَقَهُمَا اللّهُ وَلَدًا جَمِيلاً سَمَّيَاهُ (حَسَّان) .

وَكَبِرَ (حَسَّانُ) ، وَصَارَ شَابًّا مِنْ أَقْوَى الشُّبَّانِ وَأَشْجَعهم ، مَحْبُوباً مِنْ كُلُّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَه ، لِحُسْنِ أَخْلاقِه ، وَجَمِيلِ صِفَاتِه ، وَطَاعَتِهِ لأَبَوَيْه ، وَبِرِّهِ بِهِما ، وَلاحْتِرَامِهِ الْكِبَار ، وَعَطْفِهِ عَلَى الصِّغَار ، وَتَقْدِيمِهِ الْمُسَاعَدَةَ لِلضُّعَفَاءِ وَالْعَجَائِز ...

وَمَرَّتِ الْأَيَّام ، وَشَاخَ (عمّ مَنْصُور) ، وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ كُلَّ يَوْمٍ لِلصَّيْد ؛ فَكَانَ ابْنَهَ (حَسَّانُ) يَقُومُ بِالْعَمَلِ وَحْدَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّام ، فَيَخْرُجُ قُبَيْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِقَارِبِهِ ، وَيُلْقِي شَبَكَتُه فِي الْبَحْر ، ثُمَّ يَجْذِبُهَا ، فَتَخْرُجُ مَمْلُوءَةً سَمَكاً مُخْتَلِفَ الْأَصْنَافِ وَالْأَحْجَام ، فَيَبِيعُهُ ، وَيَشْتَرِي بِبَعْضِ ثَمَنِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَبَوَاهُ

الْعَجُوزَانِ مِنْ طَعَامٍ وَدَوَاء ، وَيَدَّخِرُ مَا يَزِيد ...

ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّ (حَسَّان) ، زَوْجَةُ (عَمّ مَنْصُور) ، فَحَزِنَ الْأَبُ وَالِابْنُ حُزْناً شَدِيدًا ، وَكَرِهَ الصَّيَّادُ الْعَجُوزُ الْبَقَاءَ وَحْدَهُ فِي الْبَيْت ، فَجَعَلَ يَخْرُجُ مَعَ ابْنِه ، يُعَاوِنُهُ فِي عَمَلِه ، فَتَارَةً يُمْسِكُ دَفَّةَ الْقَارِب ، وَتَارَةً يُحَرِّكُ الْمِجْدَافَيْنِ ، وَابْنُهُ (حَسَّانُ) يُلْقِي الشَّبَكَةَ فِي الْبَحْرِ وَيَشُدُّهَا ، وَيُفْرِغُ فِي قَعْرِ الْقَارِبِ مَا يَصْطَاد ...

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ رَأَي (عَمّ مَنْصُور) وَابْنُهُ (حَسَّانُ) السَّمَكَ يَقِلُّ فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَعَوَّدَا الصَّيْدَ فِيهِ ، فَفَكَّرَا فِي الانْتِقَالِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، فَجَمَعَا أَمْتِعَتَهُمَا الْقَلِيلَة ، وَرَكِبَا قَارِبَهُمَا ، حَتَّى وَصَلا إِلَى مَكَانٍ رَأَيَا فِيهِ السَّمَكَ يَقْفِزُ فَوْقَ الْمَاءِ ؛ وَيَغُوص ؛ فَعَرَفَا أَنَّهُ مَكَانُ كَثِيرُ السَّمَك ، يَصْلُحُ لِلصَّيْد ، فَقَرَّرَا أَنْ يُقِيما فِيه ، وَأَرْسَيَا قَارِبَهُمَا عَلَى الشَّاطِئ ، وَأَقَامَا مِنْ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ كُوخاً صَغِيراً، يَبِيتَانِ فِيه ...

وَعَادَ الاثْنَانِ يَصِيدَانِ كُلَّ يَوْم صَيْدًا وَفِيرًا ، يَبِيعَانِهِ فِي سُوقِ الْبَلَد ، وَيَشْتَرِيَانِ مَا يُرِيدَان ، وَيُوَفِّرَانِ مَا يَرِيدُ عَلَى حَاجَتِهِمَا ،

حَتَّى جَمَعَا مَبْلَغاً اشْتَرَيَا بِهِ بَيْتاً صَغِيراً ، وأَثَاثاً جَدِيداً، وَقَارِباً كَبِيراً ، وَتَيَسَّرَتْ حَالَتُهُمَا ، فَشُفِيَ (عَمّ مَنْصُور)، وَتَحَسَّنَتْ صِحَّتُه ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ وَعَافِيَتُهُ ...

وَفِي يَوْمٍ طَرَحَ (حَسَّانُ) الشَّبَكَةَ فِي الْبَحْر ، ثُمَّ أَخَذَ يَشُدُّهَا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَهَا ، وَهُوَ الشَّابُّ الْفَتِيُّ الْقَوِيّ ، فَنَادَى أَبَاهُ لِيُسَاعِدَه ، فَلَمْ يَقْدِرْ الاِثْنَانِ مَعًا إلا عَلَى شَدِّهَا إِلَى جَنْبِ الْقَارِبِ، وَرَأَيَا فِيهَا سَمَكَةً كَبِيرَة ، كَبِيرَةً جِدًّا ، لَمْ سْبِقْ لَهُمَا أَنْ رَأَيَا سَمَكَةً مِثْلَهَا مِنْ قَبْل . وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرَا عَلَى رَفْعِهَا إِلَى الْقَارِب ، طَلَبَ (عمّ مَنْصُور) مِنَ ابْنِهِ (حَسَّانُ) أَنْ يَجْرِيَ إِلَى الْبَيْتِ ، وَيُحْضِرَ الأَنْجَرِ (الهِلْبَ) ، لِيَحْفَظَا بِهِ تَوَازُنَ الْقَارِب ، وَيُثَبِّتَاهُ فِي مَكَانِه ، حَتَّى يُخْرِجَا هذِهِ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ ...

جَرَى (حَسَّانُ) إِلَى الْبَيْتِ ، لِيَأْتِيَ بِالأَنْجَرِ ، لكِنَّهُ بَحَثَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَلَمْ يَجِدْه ، وَأَخِيراً تَذَكَّرَ أَنَّ زَمِيلَهُ (يُوسُفَ) قَدِ اسْتَعَارَهُ مُنْذُ أُسْبُوع ، وَلَمْ يَرُدَّه ؛ فَعَادَ مُسْرِعاً إِلَى أبيهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ الأَنْجَرَ لَيْسَ فِي الْبَيْت ؛ لأَنَّ زَمِيلَهُ (يُوسُفَ) قَدِ اسْتَعَارَهُ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يُرْجِعْهُ بَعْد .

فَاغْتَاظَ (عَمّ مَنْصُور) وَغَضِبَ عَلَى ابْنِهِ غَضَباً شَدِيداً ، وَوَبَّخَهُ تَوْبِيخاً عَنِيفاً ، وَقَالَ لَهُ : لِمَاذَا لَمْ تُحْضِرْ أَنْجَراً آخَر مِنْ أَحَدِ الزُّمَلاء ؟ ... هَيَّا أَمْسِكْ أَنْتَ حَبْلَ الشَّبَكَةَ ، وسَأَذْهَبُ أَنَا لأُحْضِرَ أَنْجَراً آخَر، وَأَجئَ بِأَحَدِ الزُّمَلاء ، لِيُسَاعِدَنَا فِي إِخْرَاجِ هذِهِ السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ الْعَجِيبَة ... اِحْذَرْ أَنْ تَتْرُكَ الْحَبْل ، أَوْ أَنْ تَتَرَاخَى فِي شَدِّه ... إِنَّمَا سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ غَرِيبَة ، لا يَقِلُّ ثَمَنُهَا عَنْ عَشَرَةِ جُنَيْهات ...

لَمْ يَكَدِ الصَّيَّادُ الْعَجُوزُ يَتْرُكُ الْقَارِب ، وَيَصِلُ إِلَى الشَّاطِئ ، حَتَّى رَأَى (حَسَّانُ) السَّمَكَةَ الْكَبِيرَةَ تَرْفَعُ رَأْسَهَا ، وَتَفَتَحُ فَمَهَا، وَتَقُولُ لَهُ : يَا (حَسَّانُ) ، يَأَيُّهَا الشَّابُّ الطَّيّب ، يَا ذَا الْقَلْبِ الْحَنُون ، إِنَّ لِي مِئَاتٍ مِنَ الأَوْلادِ الصِّغَار ، يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتِي إِلَيْهِم، فَأَطْلِقْ سَرَاحي ، وَخَلِّ سَبِيلِي ؛ وَسَوْفَ اَحْفَظُ لَكَ هذَا الْجَمِيل !

عَجِبَ (حَسَّانُ) مِنْ هذِهِ السَّمَكَةَ الْغَرِيبَة ، الَّتي تَعْرِفُ اسْمَه ، وَتُكَلِّمُهُ بِلِسَانٍ فَصِيح ، وَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهَا وَأَمْرِه ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَفْعَل ؟ أَيُطْلِقُ السَّمَكَةَ ، وَيُصَدِّقُ كَلامَهَا ووَعْدَهَا ؟ ! ... وَإِذَا أَطْلَقَهَا فَمَاذَا يَقُولُ

لأَبيهِ حِينَمَا يَعُود !؟

قَالَتِ السَّمَكَةَ : اطْلِقْني يَا (حَسَّانُ) ... إِنَّكَ لَنْ تَنْدَمَ ؛ فَسَوْفَ أَرُدُّ لَكَ هذَا الْجَمِيل ، وَأُكَافِئُكَ عَلَى هذَا الإِحْسَان .

قَالَ (حَسَّان) : إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى أَوْلاَدِكِ الصِّغَار ، وَأُحِبُّ أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحَك ، لِتَعُودِي إِلَيْهِم ، لَكِنِّي أَخَافُ يَغْضَبَ عَلَى أَبِي ...

قَالَتِ السَّمَكَةَ : سَأَنْتَظِرُ فِي الشَّبَكَةِ حَتَّى يَعُودَ أَبُوك ...وَعِنْدَمَا يَرْجِعُ أَقُـــومُ بِحَرَكَاتٍ قَوِيَّةٍ عَنِيفَة ، فَتَتَظَاهَرُ أَنْتَ بِأَنَّكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى إِمْسَاكِ الْحَبْل ، وَبِأَنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ الاحْتِفَاظِ بِهِ فِي يَدَيْك، فَتَتْرُكُه ، فَأَغُوصُ أَنَا فِي الْمَاءِ ... فَإِذَا غَضِبَ عَلَيْكَ أَبُوك ، ووَبَّخَك ،

وحاوَلَ أنْ يَضْرِبَك ، فَاقْفِزْ فِي الْمَاء ، وَحِينَئِذٍ أُقَدِّمُ لَكَ مُسَاعَدَتِي ...

وبَعْدَ قَلِيلٍ عادَ (عَمّ مَنْصُور) ، وَمَعَهُ أَحَدُ زُمَلائِه ، وَهُمَا يَحْمِلانِ أَنْجَراً كَبِيراً ، فَبدأَتِ السَّمَكَةَ تَتَقَلَّبُ فِي الشَّبَكَةِ ، وَتَقُومُ بِحَرَكَاتٍ عَنِيفَة ؛ فَأَخَذَ (حَسَّانُ) يَصِيحُ ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يُجَاهِدُ وَيُقَاوِم ، وَنَادَى أَبَاهُ وَزَمِيلَهَ ، لِيُسْرِعَا إِلَى مُسَاعَدَتِه ... وَمَا قَفَزَ (عَمّ مَنْصُور) وَزَمِيلُهُ إِلَى الْقَارِب ، حَتَّى أَطْلَقَ (حَسَّانُ) الْحَبْلَ مِنْ يَدَيْه ، فَغَاصَتِ السَّمَكَةُ بِالشَبَكَةِ فِي الْبَحْر ؛ فَتَمَلَّكَ الْغَيْظُ (عَمّ مَنْصُور) ، وَغَضِبَ عَلَى ابْنِه ، وَوَبَّخَهُ عَلَى إِهْمَالِه ، وَحَاوَلَ أَنْ يَضْرِبَه ، فَقَفَزَ (حَسَّانُ) مِنَ الْقَارِب ، وَغَطَسَ فِي الْمَاء ، فَإِذَا السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ الْغَرِيبَةُ قَدْ قَطَّعَتِ الشَّبَكَة ، وَفَتَحَتْ فَمَهَا الْوَاسِع ، وَابْتَلَعَتْ (حَسَّان) ، وَسَبَحَتْ بِهِ بَعِيداً بَعِيداً ...

أَخَذَتِ السَّمَكَةُ تَسْبَحُ ، و (حَسَّانُ) فِي بَطْنِهَا ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى بُحَيْرَةٍ كَبِيرَة ، فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا فَوْقَ سَطْحِ الْمَاء ، وَفَتَحَتْ فَمَهَا ، وَزَفَرَتْ زَفْرَةً قَوِيَّةً لَفَظَتْ (حَسَّانُ) إِلَى الشَّاطِئ ...

وَوَقَفَتِ السَّمَكَةُ حَتَّى اسْتَرَاحَ (حَسَّان) ، وَهَدَأَتْ نَفْسُه ، وَأَفَاقَ

مِنْ غَشْيَتِه ، وَجَعَلَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَه ، فَرَأَى السَّمَكَةَ أَمَامَهُ فِي الْبُحَيْرَة ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهِيَ فَرِحَةٌ تَبْتَسِم ، لَكِنَّهُ خَافَ وَشَعَرَ بِالْوَحْدَة ؛ فَقَالَتْ لَهُ السَّمَكَةُ : يَا (حَسَّانُ) ، إِنَّكَ شَابٌّ طَيِّبُ الْقَلْب ، وَقَدْ أَنْقَذْتَ حَيَاتِي وَأَعَدْتَنِي إِلَى أَوْلاَدِي وَأُسْرَتِي الْكَبِيرَة، وَأَنَا لَنْ أَنْسَى لَكَ هذَا الْجَمِيلَ أَبَداً ؛ فَإِذَا احْتَجْتَ يَوْماً إِلَى الْمُسَاعَدَة ، فَتَعَالَ إِلَى هذَا الْمَكَان ، وَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا ، وَصَفِّقْ بِيَدَيْكَ ثَلاَثَ مَرَّات ، تَجِدْنِي أَمَامَك ... وَالآنَ وَدَاعاً يَا صَدِيقِي الطَّيِّب ؛ فَسَأَذْهَبُ لأَرَى أَوْلاَدِي وَحَفَدَتِي ...

وَغَاصَتِ السَّمَكَةُ الْغَرِيبَةُ الْكَبِيرَةُ فِي الْمَاء ، وَاخْتَفَتْ عَنْ عَيْنَيْ (حَسَّان) ...

أَحَسَّ (حَسَّانُ) الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَة ، وطَفِقَ يَتَطَلَّعُ فيما حَوْلَه، فَرَأَى أَرْضاً وَاسِعَةً لَيْسَ فِيهَا كُوخٌ وَلا بَيْت ، وَلا إِنْسَانٌ وَلا حَيَوان، فَبدَأَ يَمْشِي عَلَى شَاطِئِ الْبُحَيْرَةِ حَتَّى رَأَى مَكَاناً بِهِ أَشْجَارٌ وَأَزْهَارٌ وَأَعْشَاب ؛ وَكَانَ التَّعَبُ قَدْ نَالَ مِنْهُ ، فَجَلَسَ يَسْتَرِيحُ فِي ظِلِّ الأَشْجَار ، وَيَتَأَمَّلُ الْجَمَالَ

الَّذِي يُحِيطُ بِهِ : السَّماءَ الصَّافِيَة ، وَالْمِيَاهَ الزَّرْقَاء ، وَالأَزْهَارَ الْيَانِعَة ، وَالأَشْجَارَ الْعَالِيَة ، وَالثِّمَارَ الْمُخْتَلِفَةَ الأَلْوَان ، الْمُتَعَدِّدَةَ الأَشْكَال ، الْمُتَنَوِّعَةَ الطُّعُوم ؛ فَأَكَلَ مَا شَاءَ حَتَّى شَبِعَ ... ثُمَّ غَلَبَهُ النُّعَاس ، فَرَقَدَ عَلَى الْعُشْب ، وَرَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيق ... لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اسْتَيْقَظَ فَزِعاً مَذْعُوراً ، عَلَى صَوْتٍ عَالٍ ، كَأَنَّهُ صَوْتُ اسْتِغَاثَة ؛ فَنَهَضَ مِنْ مَكَانِه ، وأَخَذَ يَتَلَفَّتُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْشِّمال ، يُحَاوِلُ أَنْ يَكْشِفَ مَصْدَرَ الصَّوْت ، فَإِذَا الصَّوْت يَصْدُرُ مِنْ أَعْلَى شَجَرَةٍ بَاسِقَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْه ...

اتَّجَهَ (حَسَّانُ) نَحْوَ الشَّجَرَة ، وَجَعَلَ يُحَدِّقُ بِبَصَرِهِ الْحَادِّ ، فَرَأَى نَسْرَيْنِ صَغِيرَيْنِ فِي عُشِّهِمَا ، يُصَوِّتَان ، وَيُرَفْرِفَانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا فِي خَوْفٍ وَفَزَع ؛ فَأَخَذَ يُدِيرُ نَظَرَهُ فِي كُلِّ جِهَة ، لَعَلَّهُ يَكْشِفُ مَا يُخِيفُ هذَيْنِ النَّسْرَيْنِ الصَّغِيرَيْن ... وَيَا لَهَوْلِ مَا رَأَى !

رَأَى ثُعْبَاناً ضَخْماً ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَلِعَ خَرُوفاً ، يَلْتَفُّ حَوْلَ الشَّجَرَةِ ، وَيَزْحَفُ فِي تَثَاقُلٍ صَاعِداً إِلَى عُشِّ النسْرَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ الْمَذْعُورَيْنِ ، فَفَهِمَ مَعْنَى اسْتِغَاثَتِهِمَا ، فَتَنَاوَلَ حَجَراً كَبِيراً ، وَرَجَمَ بِهِ الثُّعْبَانَ رَجْمَةً

قَوِيَّة ؛ فأَصَابَ الْحَجَرُ رَأْسَ الثُّعْبَان ، فَتَرَنَّحَ تَرَنُّحَ السَّكْرَان ؛ فَرجمَهُ (حَسَّانُ) بِحَجَرٍ ثَانٍ ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ يَتَلَوَّى ، وَيَنْكَمِشُ وَينْبَسِطُ، فَتَنَاوَلَ (حَسَّانُ) الشَّابُّ الْقَوِيُّ الْفَتِيُّ الشُّجَاعُ حَجَراً آخَرَ ، وَاقْتَرَبَ مِنَ الثُّعْبَانِ ، وَجَعَلَ يُهَشِّمُ رَأْسَه ، حَتَّى مَاتَ وَسَكَنَتْ حَرَكَتُه ...

صَاحَ النَّسْرَانِ الصَّغِيرَانِ صَيْحَاتِ الْفَرَح ، وَأَخَذَا يُصَوِّتَانِ فِي ابْتِهَاج ، وَيُرَفْرِفَانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا ، وَكَأَنَّهُمَا يُعْرِبَانِ عَنْ شُكْرِهِمَا الْعَمِيقِ لِلشَّابِّ (حَسَّانَ) الشُّجَاع ، الَّذِي قَتَلَ الثُّعْبَان ، وَنَجَّاهُمَا مِنَ ابْتِلاعِهِ إِيَّاهُمَا ، وَقَالا لَهُ : لَنْ نَنْسَى لَكَ هذَا الْجَمِيل ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْقَوِيّ ... اصْعَدْ إِلَيْنَا ، لِنُكَافِئَكَ عَلَى صَنِيعِك ...

تَسَلَّقَ (حَسَّانُ) الشَّجَرةَ فِي مَهَارَة ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى عُشِّ النَّسْرَيْن ، فَجَعَلا يَلْمَسَانِ وَجْهَهُ بِمِنْقَارَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا يُقَبِّلانِه... ثُمَّ قَالاَ لَهُ : لَوْلا شَجَاعَتُكَ ومُرُوءَتُكَ لاَبْتَلَعَنا هذَا الثُّعْبَانُ اللَّعِين ... ولَسَوْفَ يُكَافِئُكَ أَبَوَانَا عَلَى عَمَلِكَ الْعَظِيم هذَا ... لكِنَّنا نَخْشَى أَنْ يُؤْذِيَاكَ ، لَوْ رَأَيَاكَ هُنَا ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَا مَا قَدَّمْتَ لَنَا وَلَهُمَا مِنْ مَعْرُوف ... إِنَّهُمَا يُوشِكَان

أَنْ يَعُودَا ؛ فَهَيَّا اخْتَبِئْ تَحْتَ أَجْنِحَتِنَا حَتَّى نَقُصَّ عَلَيْهِمَا مَا فَعَلْت ...

بَعْدَ قَلِيلٍ رَأَى (حَسَّانُ) كَأَنَّ سَحَابَةً قَدْ غَطَّتِ الشَّجَرَة، وَكَأَنَّ الرِّيحَ تَعْصِفُ ؛ وَشَاهَدَ نَسْرَيْنِ كَبِيرَيْنِ يُحَلِّقَانِ فَوْقَ الشَّجَرَة، وَيَدُورَانِ دَوْرَاتٍ ثَلاثاً ، ثُمَّ يَهْبِطَانِ إِلَى الْعُشّ ...

لَمْ يُسْرِعِ النَّسْرَانِ الصَّغِيرَانِ إِلَى أَبَوَيْهِمَا ، وَلَمْ يَلْتَقِطَا مَا حَمَلا إِلَيْهِمَا مِنْ طَعَامٍ كَعَادَتِهِمَا ؛ فَعَجِبَ الأَبَوَانِ مِنْ أَمْرِهِمَا ، وَسَأَلاهُمَا : مَا بِكُمَا ؟ وَلِمَاذَا تَنْظُرَانِ إِلَيْنَا هذِهِ النَّظَرَات ؟ وَلِمَاذَا لاَ تَأْكُلانِ؟ ... فَقَالَ الْفَرْخَانِ مَعاً : مَا جَزَاءُ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْنَا وإِلَيْكُمَا ، ويَقْتُلُ الثُّعْبَانَ الْخَبِيثَ اللَّعِينَ ؟!

قَالَ الأَبَوانِ : إِنَّ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكُمَا وإِلَيْنَا ، ويَقْتُلُ الثُّعْبَانَ الْمَلْعُون ، يَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِير ؛ وَمِنَ الْوَاجِبِ أَنْ نُكَافِئَه ، وَأَنْ نَرُدَّ جَمِيلَهُ بِأَحْسَنَ مِنْهُ ! ... فَقَالَ أَحَدُ الْفَرْخَيْنِ: اُنْظُرَا إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَة ... هذَا هُو الثُّعْبَانُ اللَّعِينُ مَيِّتاً ... قَتَلَهُ شَابٌّ شُجَاعٌ قَوِيّ ، وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَرِّه ...

نَظَرَ الأَبَوَانِ إِلَى الثُّعْبَانِ مُتَكَوِّمًا بِجِوَارِ الشَّجَرَة ، وَقَالاَ : أَيْنَ هذَا الشَّابُّ الْقَوِيُّ الْجَرِيءُ الَّذِي قَتَلَ هذَا الْوَحْشَ اللَّئِيم ، وَأَنْقَذَكُمَا مِنَ الْهَلاكِ الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُكُمَا ؟

رَفَعَ الْفَرْخَان أَجْنِحَتَهُمَا ، وَقَالاَ : هذَا هُوَ الشَّابُّ الشُّجَاعُ الْقَوِيُّ الَّذي قَتَلَ الثُّعْبَان ، وَخَلَّصَنَا مِنَ الْمَوْت ، وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلاك !

أَحَاطَ النَّسْرَانِ الْكَبِيرَانِ بِالشَّابِّ (حَسَّان) ، وَأَخَذَا يَدِفَّانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا ، وَيُومِئَانِ إِلَيْهِ بِرَأْسَيْهِمَا ، إِعْرَاباً لَهُ عَنْ شُكْرِهِمَا وَتَقْدِيرِهِمَا ؛ وَقَالاَ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا ، أَيُّهَا الْفَتَى الْجَرِيء، إِحْسَاناً مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيد ، وَلَنْ نَنْسَى لَكَ هذَا الْمَعْرُوفَ أَبَداً... إِنَّ هذَا الثُّعْبَانَ اللَّعِينَ كَانَ يَبْتَلِعُ فِرَاخَنَا كُلَّ سَنَة ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا فَرْخاً وَاحِداً حَتَّى يَكْبَر ، وَنَفْرَحَ بِهِ ... فَمَاذَا تُحِبُّ أَنْ نُقَدِّمَ لَك، جَزَاءَ صَنِيعِكَ وَإِحْسَانِك ؟

قَالَ (حَسَّانُ) : شُكْراً ، شُكْراً .. اَنَا مَا فَعَلْتُ شَيْئاً يَسْتَحِقُّ الْجَزَاء ؛ وَإِنَّمَا فَعَلْتُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لإِنْقَاذِ هذَيْنِ الْفَرْخَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ الْعَاجِزَيْنِ عَنِ الطَّيَرَان ، وَقَتَلْتُ ثُعْبَاناً مُعْتَدِياً مُؤْذِياً ... وَلَسْتُ الآنَ مُحْتَاجاً إِلَى

شَيْءٍ إلا أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْعُمْرَان ...

قَالَ النَّسْرُ الأَبُ : مَا أَيْسَرَ مَا تَطْلُب ! وَمَا أَسْهَلَه ! ... ارْكَبْ ظَهْرِي فَاَذْهَبَ بِكَ إِلَى أَقْرَبِ مَكَانٍ مِنَ الْعُمْرَان ...

رَكِبَ (حَسَّانُ) ظَهْرَ النَّسْرِ الْكَبِير ، فَطَارَ بِهِ النَّسْرُ طَوِيلاً ، حَتَّى ظَهَرَتْ أَمَامَ (حَسَّانَ) مَدِينَةٌ كَبِيرَة ، فَقَالَ لِلنِّسْر : كَفَى... أَنْزِلْنِي هُنَا مِنْ فَضْلِك ...

أَنْزَلَهُ النَّسْرُ فِي مَكَانٍ خَلاء ، وَوَقَفَ بِجِوَارِهِ لَحْظَةً يُرْشِدُهُ إِلَى أَقْرَبِ طَرِيقٍ إِلَى الْمَدِينَة ، وَيُكَرِّرُ الشُّكْرَ لَهُ ... وَقَبْلَ أَنْ يُفَارِقَهُ انْتَزَعَ بِمِنْقَارِهِ رِيشَةً مِنْ جَنَاحِه ، وَقَدَّمَهَا إِلَى الشَّابّ ، وَهُوَ يَقُولُ لَه : يَا (حَسَّانُ) الطَّيّبُ الشُّجَاع ، إِذَا نَزَلَتْ بِكَ شِدَّة ، وَاحْتَجْتَ إِلَى مُسَاعَدَة ، فَأَحْرِقْ هذِهِ الرِّيشَة ، تَجِدْنِي أَمَامَك...

طَارَ النَّسْر ، وَأَخَذَ (حَسَّانُ) يَسِيرُ فِي الأَرْضِ الْفَضَاء ، مُتَّجِهاً نَحْوَ الْمَدِينَةِ الَّتِي رَآهَا ، وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ النَّسْر... وَفِي الطَّرِيقِ رَأَى رَجُلاً عَلَى فَرَس ، يَجْرِي يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَشَرْقاً وَغَرْبًا ، وَرَاءَ ثَعْلَبٍ خَائِف مَذْعُور ،

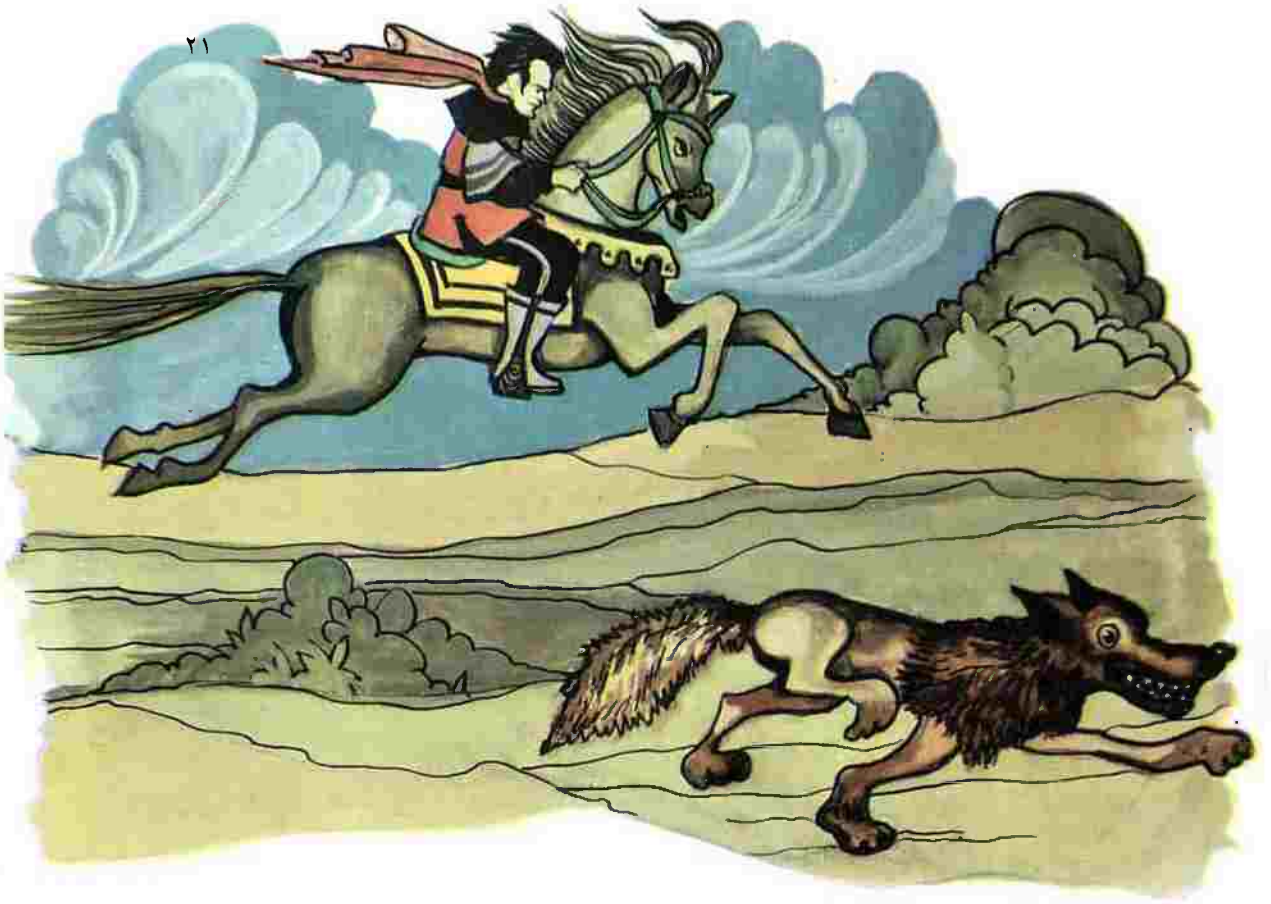

وَالرَّجُلُ يُطْلِقُ عَلَيْهِ سِهَامَه ، يُرِيدُ أَنْ يَصْطَادَه ، وَالثَّعْلَبُ يَجْرِى بَاحِثاً عَنْ مَكَانٍ يَخْتَبِئُ فِيه ، أَوْ جُحْرٍ يَحْتَمِي بِهِ ، فَقَالَ (حَسَّانُ) فِي نَفْسِه : رُبَّمَا كَانَ لِهذَا الثَّعْلَبِ أَوْلادٌ صِغَار، كَفَرْخَي النَّسرِ وَأَوْلادِ السَّمَكَةِ الْغَرِيبَة ، فَأَخَذَ يَجْرِي وَرَاءَ الصَّيَّادِ، وَهُوَ يَصِيحُ بِه ؛ فَوَقَفَ الرَّجُل ، وَسَأَلَ (حَسَّانَ) عَمَّا يُرِيد ، فَجَعَلَ (حَسَّانُ) يَرْجُوهُ أَنْ يَتْرُكَ الثَّعْلَبَ

الْمِسْكِين ، وَأَلا يَقْتُلَهُ بِسِهَامِه ، فَقَدْ يَكُونُ لَهُ أَوْلادٌ صِغَارٌ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَه ؛ فَتَأَثَّرَ الرَّجُلُ بِكَلام (حَسَّانَ) اللَّيِّنِ اللَّطِيفِ ، وَاسْتَجَابَ لِرَجَائِه ، وَتَرَكَ الثَّعْلَب ، وَسَارَ بِحِصَانِهِ إِلَى الْمَدِينَة ...

لَمَّا غَابَ الرَّجُلُ عَنْ نَظَرِ (حَسَّانَ) وَالثَّعْلَب ، أَخَذَ الثَّعْلَبُ يَقْتَرِبُ مِنْ (حَسَّانَ) فِي حَذَر ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْنُو مِنْه ، فَاطْمَأَنَّ الثَّعْلَب ، وَجَرَى نَحْوَه ، وَجَعَلَ يَشْكُرُه ، وَيَقُولُ لَهُ : لَنْ أَنْسَى لَكَ هذَا الْجَمِيلَ مَادُمْتُ حَيًّا ، أَيُّهَا الشَّابُّ الطَّيِّبُ النَّبِيل... فَمَاذَا تُحِبُّ أَنْ أَقَدِّمَ لَكَ تَعْبِيراً عَنْ عَمِيقِ شُكْرِي ، وَعَظِيم تَقْدِيرِي ، لإِنْقَاذِي مِنَ الْمَوْت ؟!

قَالَ (حَسَّان) : لَسْتُ الآنَ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْء ... اِذْهَبْ أَنْتَ مَعَ السَّلامَة !

نَزَعَ الثَّعْلَبُ بِفَمِهِ بَعْضَ شَعَرَاتٍ مِنْ ذَيْلِه ، وَقَدَّمَهَا إِلَى (حَسَّان) وَقَالَ لَه : إِذَا وَقَعتَ فِي خَطَر ، وَاحْتَجْتَ إِلَى مُسَاعَدَة، فَأَشْعِلِ النَّارَ فِي هذِهِ الشَّعَرَاتِ ، فَأَشُمَّ رَائِحَتَهَا حَيْثُمَا أَكُنْ ، فَأُقْبِلَ إِلَى مُسَاعَدَتِكَ فِي الْحَال ... قَالَ الثَّعْلَبُ هذَا، وَجَرَى حَتَّى اخْتَفَى عَنْ نَظَرِ (حَسَّان) ...

اسْتَمَرَّ (حَسَّانُ) يَمْشِي حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ الَّتِي رَآهَا وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ النَّسرِ الْكَبِيرِ ، فَوَجَدَ النَّاسَ يَسِيرُونَ جَمَاعَاتٍ فِي اتِّجَاهٍ وَاحِد ، فَعَجِبَ أَيَّمَا عَجَب ، وَدَنَا مِنْ أَحَدِهِمْ وَسَأَلَه : لِمَاذَا يَسِيرُ النَّاسُ جَمِيعاً إِلَى جِهَةِ الْغَرْب ؟ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُون ؟

فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ : إِنَّنَا ذَاهِبُونَ إِلَى مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ...

– مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ؟! مَا هذَا الْمَيْدَان ؟ وَلِمَاذَا تَذْهَبُونَ جَمِيعاً إِلَيْه ؟!

أَلا تَعْرِفُ مَيْدَانَ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ؟! ... أَأَنْتَ غَرِيبٌ عَنْ بَلَدِنا ؟!

– نَعَم ؛ أَنَا غَرِيبٌ عَنْ مَدِينَتِكُم ، وَلَمْ أَدْخُلْهَا إِلا مُنْذُ لَحَظَات ...

– إِنَّنَا ذَاهِبُونَ إِلَى مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ، لِنُشَاهِدَ أَحَدَ الأُمَرَاءِ الشُّبَّان ، وَهُوَ يَقِفُ فِي وَسَطِ الْمَيْدَان ، أَمَامَ الْمَلِكِ وَأُسْرَتِهِ وَحَاشِيَتِه ، وَأَمَامَ الشَّعْب ، وَيَخْلَعُ ثِيَابَ الإِمَارَةِ الْمُزَرْكَشَة ، الْمُزَيَّنَةَ بِالأَوْسِمَةِ وَالشَّارَات ، وَيَرْتَدِي فَرْوَةَ خَرُوف ، وَيَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ طُرْطُوراً مِثْلَ طُرْطُور

(الْبِلْيَاتْشُو) ، ثُمَّ يَجْرِي فِي الْمَيْدَانِ حَافِياً ، فيقطعُ السَّاحَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا سَبْعَ مَرَّات ، وَالْحَاضِرُونَ يَضْحَكُونَ وَيُقَهْقِهُون، سَاخِرِينَ مِنْه مُسْتَهْزِئِينَ بِه ... ثُمَّ يُطْرَدُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى دَقَّاتِ الطُّبُولِ وَتَصْفِيقِ الأَوْلاد ...

– وَلِمَاذَا يُفْعَلُ بِالْأَمِيرِ هذَا كُلُّه ؟! ... أَيَّ ذَنْبٍ جَنَى ؟ وَأَيَّ

جَرِيمَةٍ ارْتَكَبَ حَتَّى اسْتَحَقَّ هذِهِ السُّخْرِيَة ، وَهذَا الطَّرْد مِنَ الْبَلَد ؟ !

– إِنَّهُ لَمْ يَجْنِ أَيَّ جِنَايَة ، وَلا ارْتَكَبَ أَيَّ جَرِيمَة ، سِوَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَنْفِيذَ شَرْطِ الْأَمِيرَة ، بِنْتِ الْمَلِك !

– وَمَا شَرْطُ الْأَمِيرَةِ هذَا حَتَّى يُحْكَمَ عَلَى مَنْ لا يَسْتَطِيعُ تَنْفِيذَهُ بِهذَا الْعِقَابِ الْعَجِيب ؟!

– شَرْطُهَا أَنْ يَخْتَفِيَ فِي مَكَانٍ لا تَكْشِفُهُ مِرْآةُ الْأَمِيرَة ...

– مَاذَا تَقُول ؟ إِنَّي لَمْ أَفْهَمْ شَيْئاً ؛ فَهَلْ تَتَفَضَّلُ بِتَوْضِيحِ الْأَمْر ؟

– إِنَّ الْأَمِيرَة عِنْدَهَا مِرْآةٌ سِحْرِيَّة ، تَكْشِفُ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ ، فِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ وَفِي الْجَوّ ... وَالْأَمِيرَةُ تَشْتَرِطُ عَلَى مَنْ يَتَقَدَّمُ لِخِطْبَتِهَا أَنْ يَخْتَبِئَ فِي أَيِّ مَكَان ؛ وَتَمْنَحُهُ فُرْصَةَ ثَلاثَةِ أَيَّام لِيَخْتَفِي ... وَبَعْدَ هذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلاثَة ، تَصْعَدُ الْأَمِيرَةُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْرِ الْمَلَكِّي ، وَمَعَهَا مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة ، فَتُدِيرُهَا فِي كُلِّ اتِّجَاه ، وَهِيَ تَنْظُرُ فِيهَا ؛ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ الاهْتِدَاءَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي اخْتَبَأَ فِيهِ مَنْ يُرِيدُ الزَّوَاج مِنْهَا قَبِلَتْ خِطْبَتَه ، وَرَضِيَتْ بِهِ زَوْجاً لَهَا ... وَإِنْ عَرَفَتِ الْمَكَانَ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ أَرْسَلَتِ الْجُنُودَ لِيَقْبِضُوا عَلَيْه ، وَعَاقَبَتْهُ هذَا الْعِقَابَ الْعَجِيبَ : يَخْلَعُ ثِيَابَهُ الْأَنِيقَة ، وَيَرْتَدِي فَرْوَةَ خَرُوف ، وَيَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ طُرْطُوراً ، وَيَذْهَبُ إِلَى مَجْلِسِ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ وَالْأَمِيرَة ، فَيَنْحَنِي أَمَامَهُمْ فِي خُشُوع ، ثُمَّ يَبْدَأُ يَجْرِي ، حَتَّى يَقْطَعَ السَّاحَةَ الْوَاسِعَةَ سَبْعَ مَرَّات ، وَهُوَ حَافٍ ، وَفِي هذَا الشَّكْلِ الْمُضْحِك... وَبَعْدَ ذلِكَ يُطْرَدُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُشَيَّعاً بِسُخْرِيَةِ الْجَمِيع ...

– وَهَلْ حَدَثَ مِثْلُ هذَا قَبْلَ الْيَوْم ؟

أوه ! لَقَدْ ضَحِكْنَا قَبْلَ الْيَوْمِ مِنْ عَشَرَاتِ الْأُمَرَاء ؛ فَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنْ أَحَداً لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْتَبِئَ بِحَيْثُ لا تَكْشِفُهُ الْمِرْآةُ السِّحْرِيَّة... وَكَمْ مِنْ أُمَرَاءَ كَانُوا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْجَمَالِ لَبِسُوا فَرْوَةَ الْخَرُوف ، وَوَضَعُوا الطُّرْطُورَ فَوْقَ رُءُوسِهِم ، وَدَارُوا الْمَيْدَانَ وَهُمْ حُفَاة ، لأَنَّ الْمِرْآةَ السِّحْرِيَّةَ كَشَفَتْ مَخَابِئَهُمْ! ... وَيُقَالُ إِنَّ الْأَمِيرَةَ تَحْتَفِظُ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا لِخِطْبَتِهَا ، وَكَشَفَتْهُمْ مِرْآتُها السِّحْرِيَّة ...

– يَا لَلْفَظَاعَة ! إِنَّ أَمِيرَتَكُمْ هذِهِ شِرِّيرَةٌ قَاسِيَة، وَلابُدَّ من تَأْدِيبِهَا... وَسَأَكُونُ أَنَا مُؤَدِّبَهَا ...

– ها ها ... ابْتَعِدْ ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْغَرِيبُ ، عَنْ هذَا الطَّرِيق، وَإِلا اجْتَمَعْنَا يَوْماً فِي مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ، لِنَسْخَرَ مِنْك، وَنَضْحَكَ مِنْ مَنْظَرِكَ وَأَنْتَ تَرْتَدِي فَرْوَةَ الْخَرُوف ، وَتَجْرِي حَافِياً، وعلى رَأْسِكَ طُرْطُوراً !

– سَأُجَرِّبُ حَظِّي ... فَقَدْ أَنْجَح ، وَلا تَكْشِفُ الْمِرْآةُ مَخْبَئِي... السَّلامُ عَلَيْكُمْ !

* * *

صَمَّمَ الْفَتَى الشُّجَاعُ (حَسَّانُ) عَلَى أَنْ يُجَرِّبَ حَظَّه ، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ لِخِطْبَةِ الْأَمِيرَة ، فَرُبَّمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْجَح ، فَيُؤَدِّبَ الْأَمِيرَةَ الْقَاسِيَة ، وَيُنْقِذَ الْأُمَرَاءَ مِنْ سُخْرِيَتِهَا ؛ فَذَهَبَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِّي ، وَاسْتَأْذَنَ فِي مُقَابَلَةِ الْمَلِك ؛ فَلَمَّا أَذِنَ لَه ، وَقَفَ أَمَامَهُ فِي أَدَب ، وَحَيَّاهُ فِي إِجْلال ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ تَحِيَّتَه ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُه ، وَيَنْظُرُ إِلَى ثِيَابِهِ الْعَادِيَّة ، ثُمَّ سَأَلَه : مَاذَا تُرِيدُ أَيُّهَا الشَّابّ ؟ فَقَالَ (حَسَّانُ) فِي شَجَاعَة : لَقَدْ عَرَفْتُ شَرْطَ الْأَمِيرَة ، وَإِنِّي أَطْلُبُ يَدَهَا ، وَأَخْطُبُهَا لِتَكُونَ زَوْجَةً لِي .

دَعَا الْمَلِكُ ابْنَتَهُ لِتَرَى هذَا الْخَاطِبَ الْجَدِيد ، فَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُه ، وَتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَأَعْجَبَهَا أَدَبُهُ الْجَمّ ، وَجُرْأَتُهُ الْمُهَذَّبَة ، وَكَلامُهُ الْفَصِيحُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْإِيمَان بِاللّه ، وَالثِّقَةِ بِالنَّفْس ... كَمَا أَعْجَبَهَا اعْتِدَالُ قَدِّه ، وَوَسَامَةُ خَلْقِه ، فَقَالَتْ لَه : أَمُسْتَعِدٌّ أَنْتَ لِتَنْفِيذِ شَرْطِي ؟ ...

وَهَلْ تَعْرِفُ جَزَاءَ مَنْ تَكْشِفُ مِرْآتِي مَكَانَه ؟ ...

إِنَّ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ مِرْآتِي ...

– أَعْرِفُ ، أَيَّتُهَا الْأَمِيرَةُ، مَا يَحْدُثُ لَهُ ...

– إِنْ كُنْتَ مُصِرًّا عَلَى خِطْبَتِي ، فَحَاوِلْ أَنْ تَخْتَفِي بِحَيْثُ لا تَرَاكَ مِرْآتِي السِّحْرِيَّة ... سَأَصْعَدُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْر ، بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام ، وَأَنْظُرُ فِي مِرْآتِي ؛ فَإِنْ رَأَيْتُكَ قَبَضَ عَلَيْكَ الْجُنْد، وَسَاقُوكَ إِلَى سَاحَةِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ...

– وَأَلْبَسُونِي فَرْوَةَ الْخَرُوفِ وَالطُّرْطُور ... أَعْرِفُ كُلَّ شَيْء، أَيَّتُهَا الْأَمِيرَة ، وَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِتَنْفِيذِ شَرْطِك ... إِلَى اللِّقَاء !

* * *

خَرَجَ (حَسَّانُ) مِنَ الْقَصْرِ الْمَلَكِّي ، وَقَدِ امْتَلأَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الْأَمِيرَة ، فَقَدْ كَانَتْ أَجْمَلَ فَتَاةٍ رَآهَا فِي حَيَاتِه ... وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْأَمِيرَةَ كَانَتْ أَوْفَرَ الْأَمِيرَاتِ جَمَالاً وَذَكَاء ؛ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا عَيْبٌ سِوَى غُرُورِهَا بِتَفَوُّقِهَا عَلَى الْأَمِيرَاتِ جَمِيعاً ، وَلِمَا اشْتَهَرَتْ بِهِ مِنْ جَمَالٍ وَذَكَاءٍ وَثَرْوَة ، كَانَ الْأُمَرَاءُ يَأْتُونَ مِنْ بِلادٍ بَعِيدَةٍ جِدًّا طَالِبِينَ الزَّوَاجَ بِهَا ، فَكَانَتْ تَشْتَرِطُ عَلَيْهِمْ الاخْتِفَاءَ عَنْ مِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة ، ثُمَّ تَسْخَرُ مِنْهُمْ وَتَطْرُدُهُم ...

أَخَذَ (حَسَّانُ) يَجْرِي وَيَجْرِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَاطِئَ الْبُحَيْرَةِ الَّذِي لَفَظَتْهُ عَلَيْهِ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ الْغَرِيبَةُ ، وَوَقَفَ فَوْقَ الصَّخْرَةِ الَّتِي عَيَّنَتْهَا لَهُ ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ثَلاثَ مَرَّات ، فَظَهَرَتْ لَهُ السَّمَكَةُ فِي الْحَال ، وقَالَتْ : أَهْلاً بِكَ يَا صَدِيقِي الطَّيِّب ... مَاذَا جَرَى؟ قُلْ لِي مَا حَدَث ، فَقَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً يُسَاعِدُك .

قَصَّ (حَسَّانُ) عَلَى السَّمَكَةِ قِصَّةَ الْأَمِيرَةِ الَّتِي خَطَبَهَا ، وَذَكَرَ لَهَا الشَّرْطَالَّذِى شَرَطَتْه ؛ فَطَمْأَنَتْهُ السَّمَكَة ، وَقَالَتْ لَهُ : سَأُخْفِيكَ فِي مَكَانٍ لا تَكْشِفُهُ مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة ... هَيَّا ، يَا صَدِيقِي ، اقْفِزْ إِلَى الْمَاء ، فَأَبْتَلِعَكَ

وَأَغُوصَ بِكَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، فَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكَانَكَ...

قَفَزَ (حَسَّانُ) إِلَى الْمَاء ، وَابْتَلَعَتْهُ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَة ، وَغَاصَتْ بِهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَاعِ الْبُحَيْرَة ، وَأَمَرَتْ أُسْرَتَهَا الَّتِي لا يُحْصَى لَهَا عَدَدٌ أن تَتَجَمَّعَ حَوْلَهَا ، وَأَنْ تُحَرِّكَ الْمَاءَ بِذُيُولِهَا وَزَعَانِفِهَا، لِتَتَعَكَّرَ الْمِيَاه ، فَلا يَظْهَرُ (حَسَّانُ) فِي الْمِرْآةِ السِّحْرِيّة ! فَلَمَّا تَعَكَّرَتِ الْمِيَاه ، وَلَمْ تَعُدِ السَّمَكَةُ تُبْصِرُ شَيْئاً مِمَّا حَوْلَهَا ، ظَنَّتْ أَنَّ صَدِيقَهَا سَيَكُونُ فِي أَمَان ،

وَأَنَّ الأَمِيرَةَ لَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى مَكَانِه ، فَخَرَجَتْ بِهِ إِلَى سَطْحِ الْمَاء، وَلَفَظَتْهُ عَلَى الشَّاطِئ ، وَكَانَتْ تَظْهَرُ فَوْقَ الْمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ، لِتَطْمَئِنَّ عَلَى صَدِيقِهَا ، وَفِي ظُهْرِ الْيَوْم الثَّالِثِ أَخْرَجَتِ السَّمَكَةُ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاء ، وَنَادَتْ صَدِيقَهَا (حَسَّان)، وَقَالَتْ لَه : ذَكَرْتَ لِي أَنَّ الأَمِيرَةَ سَتَنْظُرُ فِي مِرْآتِهَا عَصْرَ هذَا الْيَوْم ، فَتَعَالَ لأُخْفِيَكَ ... وَابْتلعَتْه ، وَغَاصَتْ بِه ...

وَفِي الْعَصْرِ صَعِدَتِ الأَمِيرَةُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْر ، وَبِيَدِهَا مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة ، وَأَخَذَتْ تُحَرِّكُهَا فِي كُلِّ جِهَة ، فَلَمْ تَرَ (حَسَّانَ) فِي أَيِّ مَكَان فَاغْتَاظَتْ لاخْتِفَائِهِ الْعَجِيبِ ، وَهَمَّتْ بِالنُّزُولِ ، فَمَالَتِ الْمِرْآةُ نَحْوَ الْبُحَيْرَة ، فَشَاهَدَتِ الأَمِيرَةُ تَجَمُّعَ السَّمَكِ فِي مَكَانٍ مُعَيَّن، وتَعَكُّر الْمَاء ، فَحَدَّقَتْ إِلَى الْمِرْآة وَحَدَّدَتِ النَّظَر ، فَرَأَتْ (حَسَّانَ)

فِي بَطْنِ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَة ، فَنَزَلَتِ السُّلَّمَ فِي سُرْعَة ، وَهِيَ فِي غَايَةِ الْبَهْجَةِ وَالْفَرَح ، وَأَمَرَتِ الْجُنُودَ بِالذَّهَابِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي رَأَتْ فِيهِ السَّمَكَة ، ووَصَّتِ الْغَوَّاصِينَ بِبَذْلِ جُهْدِهِمْ فِي صَيْدِهَا ...

غَاصَ الْغَوَّاصُونَ إِلَى أَعْمَاقِ الْبُحَيْرَة ، وَأَحَاطُوا بِالسَّمَكَةِ الْكَبِيرَة، وَكَادُوا يَقْبِضُونَ عَلَيْهَا ، لَكِنهَا اسْتَطَاعَتْ الْفِرَارَ مِنْ بَيْنِهِم ، وَأَخَذَتْ تَسْبَحُ فِي الأَعْمَاقِ يَميناً وَشِمَالاً ، وَتَصْعَدُ وَتَهْبِطِ، وَالْغَوَّاصُونَ يَسْبَحُونَ وَرَاءَهَا ، فَلا يَسْتَطِيعُونَ اللِّحَاقَ بِهَا ...

شَعَرَ (حَسَّانُ) بِمَا يَجْرِي حَوْلَه ، فَخَافَ أَنْ يُصِيبَ الْغَوَّاصُونَ السَّمَكَةَ بِأَذًى ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَحْنِثَ بِوَعْدِه ، فَطَلَبَ مِنَ السَّمَكَةِ أَنْ تَلْفِظَهُ عَلَى الشَّاطِئ ، فَلَفَظَتْه ، فَرَأَى الْجُنُودَ يَنْتَظِرُونَهُ وَأَسْلِحَتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَاسْتَسْلَمَ لَهُمْ ... فَرَفَعَتِ السَّمَكَةَ رَأْسَهَا تَنْظُر إِلَى الْجَمْعِ الْحَاشِد ، وَدُمُوعُهَا تَسِيلُ مِنْ عَيْنَيْهَا ...

وَوَقَفَ (حَسَّانُ) أَمَامَ الأَمِيرَة ، وَالْجُنُودُ يُحِيطُونَ بِه ، فَقَالَتْ لَهُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ أَحَدًا مّا لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ مِرْآتِي ؟ ...

لابُدَّ أَنْ تَنَالَ جَزَاءَك ... خُذُوهُ إِلَى الْمَيْدَان ...

فَقَالَ الْمَلِك : يَا بُنَيَّتي الْحَبِيبَة ؛ إِنَّ هذَا الشَّابَّ الْجَرِيءَ قَدْ حَاوَلَ الاخْتِفَاءَ بِطَرِيقةٍ عَجِيبَة ، فَعَاشَ فِي بَطْنِ سَمَكَة ؛ فَامْنَحِيهِ فُرْصَةً أُخْرَى ...

وَالْحَقُّ أَنَّ الأَمِيرَة كَانَتْ مُعْجَبَةً بِجُرْأَةِ (حَسَّانَ) وَشَجَاعَتِه ، فَقَالَتْ لأَبِيهَا الْمَلِك : إِنِّي أَمْنَحُهُ فُرْصَةً أُخْرَى إِطَاعَةً لأَمْرِكَ ، يَا أَبِي الْعَزِيز .

خَرَجَ (حَسَّانُ) حَزِيناً حَائِراً ، فَفَكَّرَ فِي أَنْ يُغَادِرَ الْمَدِينَة ، لكِنَّهُ تَذَكَّرَ النَّسْرَ والرِّيشَةَ الَّتي نَزَعَهَا بِمِنْقَارِهِ مِنْ جَنَاحِه ، وَقَوْلَهُ لَه : إِذَا احْتَجْتَ إِلَى مُسَاعَدَةٍ فَأَحْرِقْ هذِهِ الرِّيشَةَ تَجِدْنِي أَمَامَك !

جَدَّ (حَسَّانُ) فِي سَيْرِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَة ، فَصَارَ يَمْشِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِيهِ النَّسْر ، فَأَخْرَجَ الرِّيشَةَ مِنْ كِيسِه ، وَأَشْعَلَ فِيهَا النَّار ، فَرَأَى الْجَوَّ يُظْلِم ، وَكَأَنَّ سَحَابَةً كَبِيرَةً قَدْ

حَجَبَتِ الشَّمْس ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاء ، فَرَأَى النَّسْرَ يَدُورُ فَوْقَه ، ثُمَّ يَهْبِطُ أَمَامَه ، وَيَحْنِي رَأْسَهُ يُحَيِّيه ، وَيَنْقُرُ الأَرْضَ بِمِنْقَارِه ، وَيَقُولُ : خَيْراً ، يَا صَدِيقِي الْعَزِيز ، مَاذَا جَرَى ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ أَنْ أَحْضِرَهُ إِلَيْك ... قُلْ ... إِنِّي مُسْتَعِدٌّ لأَيِّ طَلَبٍ تَطْلُبُه !

قَصَّ (حَسَّانُ) عَلَى النَّسْرِ قِصَّتَهُ مَعَ الأَمِيرَة ، وَكَيْفَ اخْتَفَى فِي بَطْنِ السَّمَكَة ، وَكَيْفَ كَشَفَتِ الأَمِيرَةُ مَكَانَهُ بِمِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة. وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَى الاخْتِفَاءِ فِي مَكَانٍ لا تَكْشِفُهُ الْمِرْآة ...

حَرَّكَ النَّسْرُ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْن ، وَهَزَّ رَأْسَه ، وَقَالَ : هذَا أَمْرٌ سَهْلٌ ، يَا صَدِيقِي الْعَزِيز ... سَأَحْمِلُكَ عَلَى ظَهْرِي ، وَأَطِيرُ بِكَ فِي الْفَضَاءِ الْعَالِي ، فَلا تَسْتَطِيعُ الأَمِيرَةُ أَنْ تَرَاكَ بِمِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة ، وَأَنْتَ فِي عَنَانِ السَّمَاء ... هَيَّا ارْكَبْ ظَهْرِي ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه ...

رَكِبَ (حَسَّانُ) ظَهْرَ النَّسْر ، فَطَارَ بِهِ حَتَّى ذَهَبَا إِلَى النَّبْعِ وَالأَشْجَارِ وَالأَزْهَارِ وَالثِّمَار ، فَأَنْزَلَهُ هُنَاكَ ، وقَالَ لَه : ابْقَ هُنَا يَوْمَيْن ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُحَلِّقُ بِكَ عَالِياً عَالِياً ، فَلاَ تَظْهَرُ فِي الْمِرْآةِ السِّحْرِيَّة ...

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِث ، وَفِي السَّاعَةِ الْمُحَدَّدَةِ ، صَعِدَتِ الأَمِيرَةُ بِمِرْآتِهَا إِلَى سَطْحِ الْقَصْر ، وَأَخَذَتْ تُدِيرُهَا فِي كُلِّ الْجِهَات ، وَتُحَدِّقُ إِلَيْهَا ، فَمَا رَأَتَ (حَسَّانَ) وَلا عَرَفَتْ مَخْبَأَه ... وَلَمَّا يَئِسَتْ مِنَ الْعُثُورِ عَلَيْهِ ، وَهَمَّتْ بِالْهُبُوط ، لَمَحَتْ فِي الْمِرْآةِ صُورَةَ نَسْرٍ كَبِيرٍ يُحَاوِلُ أَنْ يَهْبِطَ إِلَى الأَرْض ، فَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُهُ ، فَرَأَتْ (حَسَّانَ)عَلَى ظَهْرِه ... فَمَا كَانَ أَسْرَعَ مَا أَرْسَلَتِ الْجُنْدَ إِلَيْه ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَهُوَ يُحَاوِلُ النَّوْمَ عَلَى الأَعْشَابِ بَيْنَ الأَشْجَارِ ...

وَمَرَّةً ثَانِيَةً وَقَفَ (حَسَّانُ) أَمَامَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ وَابْنَتِهِمَا الأَمِيرَة، تُحِيطُ بِهِمُ الْحَاشِيَةُ وَالضُّبَّاطُ وَالْجُنُود ... وَقَفَ (حَسَّانُ) خَجْلانَ خَزْيَانَ ، لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْتَبِئَ فِي مَكَانٍ لا تَكْشِفُهُ الْمِرْآةُ السِّحْرِيَّة وَبَدَأَتِ الأَمِيرَةُ تُوَبِّخُه ، وَتَهْزَأُ بِهِ ، وَتَسْخَرُ مِنْهُ ، وَتَقُولُ لَهُ : أَنْتَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِك ، أَيُّهَا الشَّابُّ الْمَغْرُور ... إِنَّ مِرْآتِي تَكْشِفُ كُلَّ شَيْءَ ، فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَفِي أَعَالِي الْجَوّ، وَفِي بَاطِنِ الأَرْضِ ! ... هَيَّا يَا جُنُودُ ... سُوقُوهُ إِلَى مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ، لِيَلْقَى جَزاءَ غُرُورِه !

فَقَالَتِ الْمَلِكَة : يَا بِنْتي ، يَا حَبِيبَتي ، إِنَّ هذَا الْفَتَى شُجَاعٌ جَرِيء ، فَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ غَيْرُهُ مِنْ قَبْل ... لَقَدِ اخْتَبَأَ مَرَّةً فِي بَطْنِ سَمَكَة ، وَاخْتَبَأَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَوْقَ ظَهْرِ نَسْر ... فَامْنَحِيهِ فُرْصَةً أَخِيرَةِ ...

أَطَاعَتِ الأَمِيرَةُ أُمَّهَا وَقَالَتْ : كَمَا تَشَائِينَ يَا أُمِّي ، يَا مَلِيكَتي... وَنَظَرَتْ إِلَى الْفَتَى (حَسَّانَ) وَقَالَتْ له : هذِهِ فُرْصَتكَ الأَخِيرَةُ، أَيُّها الشَّابّ !

خَرَجَ (حَسَّانُ) وَهُوَ لا يَكَادُ يُصَدِّقُ أَنَّهُ نَجَا مِنَ ارْتِدَاءِ فَرْوَةِ الْخَرُوف ، وَوَضْعِ الطُّرْطُورِ عَلَى رَأْسِه ، وَالْجَرْيِ حَافِياً سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي مَيْدَانِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَة ... وَأَخَذَ يَجْرِي وَيَجْرِي وَيَجْرِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ الثَّعْلَب ، وَأَشْعَلَ النَّارَ فِي بَعْضِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْجَافَّة ، وَأَلْقَي فِيهَا شُعَيْرَاتِ الثَّعْلَب، فَإِذَا دُخَانٌ أَخْضَرُ كثِيفٌ يَمْلأُ الْجَوّ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَحْجُبَ السَّمَاء، وَإِذَا رَائِحَةٌ غَرِيبَةٌ تَفُوحُ فِي الْمَكَان ، وَإِذَا الثَّعْلَبُ يَظْهَرُ فَجْأَة، وَيَقِفُ أَمَامَ (حَسَّان) ، وَ (حَسَّانُ) لا يَرَاهُ بِسَبَبِ كَثَافَةِ الدُّخَان؛ فَيَشُدُّ الثَّعْلَبُ طَرَفَ جِلْبَابِهِ بِأَنْيَابِه ، وَيَقُولُ له : إِنِّي فِي

خِدْمَتِك ، أَيُّهَا الشَّابُّ الرَّحِيم ، الطِّيبُ الْقَلْب ... فَمَاذَا تُرِيد ؟ أُطْلُبْ مَا تَشَاءُ تَجِدْنِي طَوْعَ أَمْرِك !

حَكَي (حَسَّانُ) لِلثَّعْلَبِ حِكَايَتَهَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ مَشْهُورٌ بِالذَّكَاءِ وَالدَّهَاء ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ حَلا لِمُشْكِلَتي ؟ هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَدُلَّني عَلَى طَرِيقَةٍ أَخْتَبِئُ بِهَا ، فَلا تَكْشِفُني مِرْآةُ الْأَمِيرَة ؟ ...

طَيَّبَ الثَّعْلَبُ خَاطِرَ (حَسَّان) ، وَطَمْأَنَه ، وَقَالَ لَه : لِمَ لَمْ تَطْلُبْ مُسَاعَدَتِي مُنْذُ الْمَرَّةِ الْأُولَى ؟ ... اِطْمَئِنَ وَلا تَخَفْ ، فَسَأُنَجِّيكَ كَمَا نَجَّيْتَني ، وَسَأُخْفِيكَ فِي مَكَانٍ لا يَخْطُرُ عَلَى بَالِ الْأَمِيرَة ، وَلا تَسْتَطِيعُ مِرْآتُهَا السَّحْرِيَّةُ أَنْ تَكْشِفَه ... أَنَا الثَّعْلَبُ الْمَكَّار ، أَبُو الْحِيَلِ وَالْأَفْكَار ... اِطْمَئِنَّ ... سَأُنْقِذُكَ مِنَ الْأَمِيرَةِ الْقَاسِيَة ، وَمِنْ مِرْآتِهَا السِّحْرِيَّة ، وَسَأُحَقِّقُ أَمَلَكَ فِي الزَّوَاجِ بِهَا ... اِطْمَئِنَّ يَا صَدِيقِي الْعَزِيز ... أَنَا لا أَنْسَى أَنَّكَ أَنْقَذْتَ حَيَاتِي ، وَنَجَّيْتَني مِنْ سِهَامِ الصَّيَّادِ الْعَنِيد ... لا تَخَفْ ... قِفْ هُنَا فِي مَكَانِك ، وَانْظُرْ مَا أَفْعَل ... وَلا تَقْلَقْ لِغِيَابِي ، فَقَدْ أَغِيبُ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْن ...

وَفِي الْحَالِ بَدَأَ الثَّعْلَبُ يَحْفِرُ الْأَرْضَ فِي سُرْعَةٍ فَائِقَة ، حَتَّى حَفَرَ نَفَقاً طَوِيلاً ، غَابَ فِيهِ عَنْ عَيْنَيْ (حَسَّان) ... وَمَرَّ الْيَوْمُ الْأَوَّل ، وَالْيَوْمُ الثَّانِي ، وَالثَّعْلَبُ لَمْ يَظْهَر ، فَبَدَأَ الْقَلَقُ يَغْزُو قَلْبَ (حَسَّان) شَيْئاً فَشَيْئاً ، حَتَّى فَقَدَ الْأَمَلَ ، وَظَنَّ أَنَّ الثَّعْلَبَ مَكَرَ بِه ، فَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمّ ...

وَفَجْأَةً خَرَجَ الثَّعْلَبُ مِنَ النَّفَق ، وَقَالَ لِصَدِيقِهِ (حَسَّان) : تَعَالَ وَرَائِي ... أَسْرِعْ فَقَدِ اقْتَرَبَ الْوَقْتُ الَّذِي تَصْعَدُ فِيهِ الْأَمِيرَةُ إِلَى سَطْحِ الْقَصْر ... هَيَّا اتَّبِعْنِي ... إِنَّ هذَا النَّفَقَ يَصِلُ بِكَ إِلَى حُجْرَةِ الْأَمِيرَة ... وَلَنْ يَخْطُرَ بِبَالِهَا أَنَّكَ مُخْتَبِئٌ فِي قَصْرِهَا ، وَتَحْتَ حُجْرَتِهَا ... فَإِذَا نَظَرَتْ فِي مَرْآتِهَا فَلَنْ تَرَاك ... وَلَنْ تُفَكِّرَ فِي أَنْ تَنْظُرَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا ... وَحِينَئِذٍ تَنْزِلُ إِلَى حُجْرَتِها غَاضِبَةً سَاخِطَة ، فَإِذَا أَحْسَسْتَ بِهَا فَارْفَعِ الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي نِهَايَةِ النَّفَق ، وَاصْعَدْ إِلَى وَسَطِ الْحُجْرَة ، تَجِدْ نَفْسَكَ أَمَامَ الْأَمِيرَة ، فَقُلْ لَهَا : لَقَدْ غَلَبْتُك !

وَحِينَمَا وَصَلَ (حَسَّانُ) وَالثَّعْلَبُ إِلَى آخِرِ النَّفَق ، كَانَتِ الْأَمِيرَةُ

تَصْعَدُ فِي السُّلَّم إِلَى سَطْحِ الْقَصْر وَمَعَهَا مِرْآتُهَا السِّحْرِيَّة ، لِتَبْحَثَ عَنْ مَخْبَأِ (حَسَّان) . أَمَّا الثَّعْلَبُ فَقَدْ بَقِيَ لَحْظَةً مَعَ (حَسَّان)، وَأَعَادَ عَلَيْهِ وَصِيَّتَهُ بِرَفْعِ الْخَشَبَةِ الَّتي تُغَطِّي فَتْحَةَ النَّفَق ، عِنْدَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّ الأَمِيرَةَ فِي الْحُجْرَة . ثُمَّ وَدَّعَهُ وَهُوَ يَدْعُو لَهُ بِالتَّوْفِيق ...

وَقَفَتِ الأَمِيرَةُ عَلَى سَطْحِ الْقَصْرِ ، وَجَعَلَتْ تُقَلِّبُ مِرْآتَهَا فِي كُلِّ جِهَة ، وَتُنْعِمُ النَّظَرَ فِيهَا ، فَلا تَرَى أَثَراً لِهذَا الْخَاطِبِ الْمُخْتَبِئِ تَحْتَ حُجْرَتِهَا ... حَوَّلَتِ الْمِرْآةَ نَحْوَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمالِ وَالْجَنُوب ، وَحَدَّقَتْ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْر، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى أَعَالِي الْفَضَاء ، فَلَمْ تَعْثُرْ عَلَى مَخْبَأِ (حَسَّان) ، وَلا اسْتَطَاعَتْ كَشْفَ مَكَانِه ، فَعَجِبَتْ لاخْتِفَائِهِ ، وَأَخَذَتْ تَنْزِلُ إِلَى حُجْرَتِهَا ، وَهِيَ حَزِينَةٌ فَرْحَانَةٌ فِي وَقْتٍ وَاحِد ...

كَانَتْ حَزِينَةً مُغْتَاظَةً لأَنَّ (حَسَّانَ) غَلَبَهَا ، واسْتَطَاعَ الاِخْتِفَاءَ عَنْ مِرْآتِهَا السَّحْرِيَّة ؛ وَكَانَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ سَعِيدَةً فَرْحَانَة ، لأَنَّهُ نَجَحَ فِي اخْتِفَائِه ، وَأَنَّهُ – لِهذَا النَّجَاحِ – سَيَكُونُ زَوْجاً لَهَا ؛ فَإِنَّ قَلْبَهَا قَدْ مَالَ إِلَيْهِ مُنْذُ رَأَتْه ، وَشَاهَدَتْ بَسَاطَةَ ثِيَابِه ، وَسَمِعَتْ حَدِيثَهُ الْقَوِيَّ الْمُهَذَّب ، وَعَلِمَتْ شَجَاعَتَهُ وَجُرْأَتَه ؛ فَقَالَتْ فِي صَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : أَيْنَ اخْتَفَى هذَا الشَّابّ ؟ ! لَيْتَهُ يَظْهَرُ الآن !

وَفَجْأَةً رَأَتْ لَوْحَ خَشَبٍ يَرْتَفِعُ مِنْ أَرْضِ الْحُجْرَة ، وَرَأَتْ (حَسَّانَ) يَقِفُ أَمَامَهَا قَائِلاً : مَا رَأْيُكِ الآنَ ، يَا أَمِيرَتِي الْعَزِيزَة؟ ! أَظُنُّنِي نَفَّذْتُ شَرْطَك ، وَاخْتَفَيْتُ حَتَّى عَجَزَتْ مِرْآتُكِ السِّحْرِيَّةُ عَنْ كَشْفِ مَخْبَئِي ! لَقَدْ غَلَبْتُك !

قَالَتِ الأَمِيرَة : صَدَقْتَ ، أَيُّهَا الشَّابُّ الشُّجَاع ... وَقَدْ قَبِلْتُ أَنْ أَكُونَ زَوْجَةً لَكَ !

وَذَاعَ فِي الْقَصْر ، وَفِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا ، أَنَّ الشَّابَّ الْغَرِيبَ الَّذِي تَقَدَّمَ لِخِطْبَةِ الأَمِيرَةِ قَدْ نَجَحَ فِي اخْتِفَائِه ، وَأَنَّ الْمِرْآةَ السِّحْرِيَّةَ لَمْ تَكْشِفْ مَخْبَأَه .

صَحِبَتِ الأَمِيرَة (حَسَّانَ) إِلَى أَبَوَيْهَا ، وَقَالَتْ لَهُمَا : لَقَدْ نَجَحَ هذَا الشَّابُّ فِي الاخْتِفَاء ، فَلَمْ تَكْشِفْهُ مِرْآتِي السِّحْرِيَّة ، وَوَجَبَ أَنْ أَفِيَ بِالشَّرْط . فَلْيَأْمُرْ أَبِي الْعَزِيزُ بِإِعْدَادِ الاحْتِفَالات ، وَإِقَامَةِ الزِّينَات ، وَتَوْزِيعِ الْهَدَايَا وَالْهِبَات ...

أَخَذَ الْحَاشِيَةُ وَالْجَيْشُ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ جَمِيعاً يُعِدُّونَ مُعِدَّاتِ الْفَرَح بِزَوَاجِ أَمِيرَتِهِم الْحَسْنَاء ، بِالشَّابِّ الْجَرِيء (حَسَّان) ...

وَأُقِيمَتِ الزِّينَاتُ فِي كُلِّ مَكَان وَتَحَدَّدَ مَوْعِدُ عَقْدِ الزَّوَاج، وَأَخَذَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ وَالْعُلَمَاءُ وَالْعُظَمَاءُ يَتَوَافَدُونَ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيّ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ سَعِيدٌ مُنْشَرِحُ الْقَلْب ، لأَنَّ الأَمِيرَةَ سَتَتَزَوَّج ، وَلأَنَّ عَهْدَ السُّخْرِيَةِ مِنَ الأُمَرَاءِ قَدِ انْتَهَى ...

وَلَمَّا تَقَدَّمَ الْقَاضِي لِيَعْقِدَ الزَّوَاج ، وَقَفَ (حَسَّانُ) وَقَالَ : عُذْراً، يا مَوْلايَ الْمَلِك ... عُذْراً أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَام ... أَرْجُو أَنْ تَسْمَعُوا حَدِيثِي، وَتَعْرِفُوا قِصَّتِي ... إِنِّي لأُجِلُّ الأَمِيرَةَ كُلَّ الإِجْلالِ ، وَأَتَمَنَّى لَوْ أَسْتَطِيعُ الزَّوَاجَ بِهَا ، لَكِنِّي نَشَأْتُ صَيَّاداً فَقِيراً ، وَلَمْ أَتَعَوَّدِ الْحَيَاةَ

الَّتي تَحْيَاهَا الأَمِيرَةُ الْعَظِيمَة ... وَلِهذَا أَرَانِي لا أَصْلُحُ زَوْجاً لَهَا !

هَاجَ الْجَمِيعُ وَمَاج ، وَخَجِلَتِ الأَمِيرَةُ وَاضْطَرَبَت ، وَكَادَتْ يُغْمَى عَلَيْهَا ، فَأَسْرَعَ (حَسَّانُ) وَوَقَفَ بِجَانِبِهَا ، وَرَفَعَ صَوْتَه قَائِلاً : عُذْراً جَمِيلاً ، يَا سَادَة ... إِنِّي لا أَقْصِدُ إِلا أَنْ أَشْرَحَ لَكُمْ أَمْرِي ، لِتَكُونَ الأَمِيرَةُ الْعَظِيمَة ، وَلِتَكُونُوا جَمِيعاً ، عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِي ... لا أُخْفِي عَلَيْكُمْ أَنِّي تَقَدَّمْتُ لِخِطْبَةِ الأَمِيرة ، وَلَيْسَ فِي نِيَّتِي أَنْ أَتَزَوَّجَهَا ... وَإِنَّمَا كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هذِهِ الأَمِيرَةَ الْقَاسِيَةَ دَرْساً قَاسِياً ، حَتَّى تَمْتَنِعَ عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنَ الأُمَرَاءِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ لِخِطْبَتِها ، وَحَتَّى تَخْتَارَ زَوْجَهَا بِالطَّرِيقِ اللَّائِقِ الْمَأْلُوف ...

ثُمَّ نَظَرَ (حَسَّانُ) إِلَى الأَمِيرَةِ وَقَالَ لَهَا : عُذْراً ،يَا أَمِيرَتِي الْجَلِيلَة ... لَقَدْ قَبِلْتِ أَنْ تَتَزَوَّجِينِي ، لأَنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ اَخْتَبِئَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِك ، فَلَمْ تَكْشِفْهُ مِرْآتُكِ السَّحْرِيَّة... لَقَدْ نَفَّذْتُ شَرْطَك ، وَنَجَحْت ، وَغَلَبْتُك ... وَلَكِنَّ هذَا لا يَكْفِي لِنَكُونَ زَوْجَيْنِ سَعِيدَيْن ... فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَتَزَوَّجِينِي، بَعْدَ هذَا الَّذِي عَرَفْتِ مِنْ أَمْرِي ، فَعَلَيْكِ أَنْ تَقْبَلِي الْحَيَاةَ

مَعِي حَيْثُ أَعِيش ... فِي قَصْرِ أَمِير ، أَوْ فِي كُوخ صَيَّاد ... عَلَيْكِ أَنْ تَنْسَيْ أَنَّكِ أَمِيرَة ، وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّكِ سَتَصِيرِينَ زَوْجَةَ صَيَّادٍ فَقِير ، يَعِيشُ مِنْ كَدِّهِ وَعَرَقِ جَبِينِه ، وَلا يَقْبَلُ أَنْ يَعِيشَ عَالَةً عَلَى الْمُجْتَمَع ، يَأْكُلُ مِنْ تَعَبِ الْآخَرِينَ وَجُهْدِهِم ، بِدُونِ أَنْ يُفِيدَهُمْ فَائِدَةً تُذْكَر ...

اصْفَرَّ وَجْهُ الْأَمِيرَة ، وَاضْطَرَبَتْ فِي مَجْلِسِهَا ، وَارْتَعَشَتْ أَطْرَافُهَا ، وَأَصَابَهَا ذُهُولٌ وَدُوَار ، فَسَقَطَتِ الْمِرْآةُ السَّحْرِيَّةُ مِنْ يَدِهَا ، وَتَحَطَّمَتْ قِطَعاً صَغِيرَة ، مُحْدِثَةً دَوِيًّا كَالرَّعْد ؛ فَأَسْرَعَ الْخَدَمُ يَجْمَعُونَ قِطَعَ الْمِرْآةِ الْمُحَطَّمَة ، فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئاً ... لَقَدِ اخْتَفَت ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَر !

ثُمَّ تَمَالَكَتِ الْأَمِيرَةُ نَفْسَهَا ، وَوَقَفَتْ مُنْتَصِبَة ، وَقَالَت : أَيُّهَا الشَّابُّ

الْجَرِيءُ الطَّيبُ الْقَلْب ، الْغَنيُّ النَّفس ، النَّبيلُ الْحِسّ، لَقَدْ قَبِلْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَك ... وَأُعَاهِدُك أَنْ أَكُونَ مُطِيعَةً لَك ، وَأَنْ أَحْيَا مَعَكَ حَيْثُ تُحِبّ ، وَأَيْنَ تَشَاء ... وَتَمَّ زَوَاجُ (حَسَّان) وَالْأَمِيرَة ، وَعَاشَا مَعاً فِي هَنَاءَةٍ وَسُرُور ، وَأَصْبَحَتِ الْأَمِيرَةُ رَبَّةَ بَيْتٍ مُمْتَازَة ، تُجِيدُ الطَّبْخ ، وَتُدَبِّرُ بِنَفْسِهَا شُئُونَ الْبَيْتِ كُلَّهَا ...

أَمَّا (حَسَّانَ) فَقَدْ تَعَلَّمَ عُلُومَ الْحَرْبِ وَالسِّيَاسَة ، وَأَصْبَحَ ضَابِطاً مُمْتَازاً فِي جَيْشِ وَطَنِهِ الْجَدِيدِ ... وَكَانَ سَعِيداً فِي حَيَاتِه، مَعَ زَوْجَتِهِ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَة ، وَسَعِيداً بِأَنَّهُ صَارَ مُتَعَلِّماً وَضَابِطاً عَظِيماً ؛ لَكِنَّ سَعَادَتَهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ تَكُنْ كَامِلَة ؛ فَقَدْ كَانَ تَفْكِيرُهُ فِي أَبِيهِ ، وَفِيمَا هُوَ عَلَيْه ، يُنَغِّصُ عَلَيْهِ سَعَادَتَهُ ... أَمَاتَ أَبُوهُ أَمْ لا يَزَالُ حَيًّا ؟ وَإِذَا كَانَ حَيًّا فَكَيْفَ يَعِيشُ الْآنَ وَحِيدا ، لا زَوْجَةَ وَلا وَلَد ؟!

وَفِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّام أَخْبَرَ (حَسَّان) زَوْجَتَهُ أَنَّهُ يَنْوِي السَّفَرَ إِلَى بَلَدِه ، لِيَعْرِفَ أَخْبَارَ أَبِيهِ ، فَطَلَبَتْ أَنْ تُسَافِرَ مَعَه ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ السَّفَرَ شَاقٌّ ، وَالْمَسَافَةَ طَوِيلَة ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فِي النَّهَارَ وَفِي اللَّيْل .

بِدُونِ رَاحَة ، حَتَّى أَصِلَ سَرِيعاً ، وَلا أَتَأَخَّرَ فِي الْعَودَة ...

وَاسْتَأْذَنَ (حَسَّانُ) حَمَاهُ الْمَلِكَ فِي السَّفَر ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَأَمَر لَهُ بِعَرَبَةٍ مَلَكِيَّةٍ تَجُرُّهَا سِتَّةُ خُيُول ؛ وَأَمَرَ أَنْ يُسَافِرَ فِي صُحْبَتِهِ بَعْضُ زُمَلائِهِ الضُّبَّاط ، حَتَّى لا يُحِسَّ الْوَحْدَةَ وَالْوَحْشَة ...

وَصَلَ (حَسَّانُ) إِلَى بَلْدَتِهِ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَدْ تَغَيَّرَتْ هَيْئَتُه ، لِثِيَابِهِ الْأَنِيقَة ، وَالْأَوْسِمَةِ الَّتي تُزَيِّنُ صَدْرَه . وَكُلَّمَا قَابَلَ أَحَدَ زُمَلائِه ، وَقَالَ لَهُ إِنَّني (حَسَّان) ، ضَحِكَ مِنْهُ زَمِيلُه ، وَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ عَنْه ، وَهُوَ يَقُولُ : (حَسَّان) ؟ ... رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه ... لَقَدْ غَرِقَ مُنْذُ سَبْعَةِ أَشْهُر !

فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ أَبِيه ، وَطَرَقَ بَابَه ، فَفَتَحَ لَهُ غُلامٌ فِي السَّادِسَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِه ، فَسَأَلَهُ عَنْ (عَمّ مَنْصُور) ، فَسَمِعَ صَوْتاً مِنَ الدَّاخِلِ يَقُولُ : مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُ عَنِّي يَا عَلِيَّ ؟ فَقَالَ الْغُلامُ : إِنَّهُمْ خَمْسَةُ ضُبَّاطٍ يَا عَمِّي ...

خَرَجَ (عَمّ مَنْصُور) لِيُقَابِلَ الضُّبَّاط ، وَلِيَعْرِفَ مَاذَا يُرِيدُونَ مِنْه ، وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً حَتَّى يَأْتِيَ ضُبَّاطٌ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ أَمَامَهُم ، انْدَفَعَ (حَسَّانُ) نَحْوَهُ يُعَانِقُه ، وَيُقَبِّلُ وَجْهَهُ وَيَدَيْه ، وَيَقُولُ : أَبِي ...

أَبي ... أَنَا ابْنُكَ (حَسَّان) ... لَقَدْ أَخْفَيْتُ عَلَيْكَ الْحَقِيقَةَ حِينَمَا قُلْتُ لَكَ إِنَّ السَّمَكَةَ قَدْ غَلَبَتْنِي ... إِنَّهَا لَمْ تَغْلِبْنِي ، ولَكِنِّي أَنَا أَطْلَقْتُهَا ...

وَكَانَ لِقَاءٌ سَعِيدٌ بَيْنَ الابْنِ وَأَبِيه ، وَحَكَى (حَسَّانُ) لأَبِيهِ مَا جَرَى لَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِلسَّفَرِ مَعَه ، لِيَعِيشَ مَعَهُ ومَعَ زَوْجَتِهِ الْأَمِيرَة ، فِي وَطَنِهِ الْجَدِيد .

وَتَرَكَ (عَمّ مَنْصُور) لِلْغُلام (عَلِيٍّ) الْبَيْتَ وَمَا فِيه ، وَأَدَوَاتِ الصَّيْدِ كُلَّهَا ، وسافَرَ مَعَ ابْنِهَ ، فَعَاشَ بَقِيَّةَ أَيَّامِهِ فِي أَطْيَبِ عِيشَةٍ وَأَهْنَأِ حَيَاة ...

وَمَرَّتْ سِنُون ... وَمَاتَ الْمَلِك ، فَصَارَتِ ابْنَتُهُ الْأَمِيرَةُ مَلِكَة ، وَصَارَ زَوْجُهَا (حَسَّانُ) مَلِكاً ... وَحَكَمَا مَعاً بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان ، فَعَاشَا سَعِيدَيْن ، وَأَسْعَدَا شَعْبَهُمَا .